سلسلة الثقافة الإسلامية

(٤٤)

الصراط

الاصدار الثاني

محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب : .... الصراط

المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الثانية: .... ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١١م

الكمية.. ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

مريم: ٧١ ـ ٧٢

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَيَقُولُ الإنسان أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلا يَذْكُرُ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

صريح الذكر الحكيم أن الناس كل الناس يردون جهنم يوم القيامة، فيجتازها، ويتخطاها المؤمنون الصالحون، ويقع فيها غيره:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

قال السدي: «سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني أن عبدالله بن مسعود حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ ـ مريم: ٦٦ـ ٧٢.

قال: يرد الناس النار، ثم يَصْدرون بأعمالهم، فأولهم كلمع البرق، ثم كمر الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجل ثم كمشيه»[1].

وروى غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن إبن سمية قال: «إختلفنا في الورود، فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فسألته، فأومأ بإصبعيه إلى أُذينه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها، فيكون على المؤمنين بَرْداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردها، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً»[2].

---

١ ـ نور الثقلين ٣: ٣٥٣.

٢ ـ مجمع البيان ٣: ٥٢٥.

ومـن خـلال الـورود فـي جهـنم يـدخل المؤمنـون والصالحون الجنة، فيكون طريقهم إلى الجنة عبر جهنم.

والطريق الذي يعبر عليه الناس إلى الجنة عبر جهنم هو «الصراط» وهو من عقبات يوم القيامة.

والصراط الـذي يسـلكه النـاس عبـر جهـنم إلـى الجنـة دقيق وصعب.

روى الطبرسـي فـي تفسـيره عـن الإمـام الصـادقعليه السلام: «الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، فمنهم من يمر عليه مثل البـرق ومـنهم مـن يَمُـرّ عليـه مثـل عَـدْوِ الفـرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه حَبْواً ومنهم من يمر عليه متعلقاً، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»[1].

فما هو هذا الصراط؟

والى ماذا يرمز الصراط؟

---

١ ـ نور الثقلين ٣: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

ولماذا كان عبور المؤمنين إلى الجنّة عبر جهنم؟

ولماذا يسرع عليه من يسرع حتى يكاد يكون كالبرق الخاطف، ويتلكأ عليه من يتلكأ حتى يكاد أن يسقط في جهنم.

تلك وغيرها أسئلة نحاول أن نجيب عليها في هذه المقالة.

الصراط والسبيل في القرآن

الصراط هو الطريق، والطريق هو الفاصل ما بين نقطتين يطويها المتحرك من نقطة إلى أخرى، وقد يكون هذا الفاصل مكانياً، وتكون الحركة في المكان كالمسافة ما بين مدينتين على الأرض، وقد يكون الفاصل زمانياً كالفاصل بين يوم السبت والأحد، وقد يكون الفاصل فاصلاً معنوياً كما أن الدراسة طريق لطلب العلم، وتهذيب النفس طريق الإنسان إلى الكمال.

والصراط إلى الله هو الصراط المستقيم الذي يوصل الإنسان إلى الله وهو صراط التوحيد والعبودية والعمل الصالح والتقوى.

وهو صراط واحد لا تعدد فيه، ولا يمكن أن يتعدد، فهو الخط المستقيم بين الإنسان وبين الله تعالى.

ولذلك لم ترد كلمة الصراط على نحو الجمع، في القرآن الكريم ولا في اللغة، وكلما ورد من هذه المادة في القرآن ورد على نحو الإفراد:

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾.

﴿وَإِذاً لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1].

والصراط المستقيم إلى الله ينطوي على سبل كثيرة، كلها تحقق معنى العبودية لله تعالى وتوحيد الله، ولكن على مناهج مختلفة.

فلكل إنسان طريقه الخاص به في معرفة الله، وكل شريعة من شرائع الله سبيل خاص في تحقيق العبودية لله تعالى، كما أن هناك أكثر من سبيل أمام أي إنسان لتحقيق الطاعة والعبودية.

ولكن على كل حال لا يكون هناك طريق إلى الله تعالى أكثر من صراط واحد، وهو توحيد الله تعالى بالعبودية والطاعة.

ولذلك وردت كلمة السبيل على نحو الجمع كثيراً في القرآن الكريم، بعكس الصراط الذي ورد دائماً على نحو الإفراد.

---

١ ـ النساء: ٦٧ ـ ٦٨.

يقول تعالى:
﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾[1].
﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾[2].
﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾[3].

الصراط المستقيم

وبعد هذا التفريق بين معنى الصراط والسبيل نتساءل ما هو: «الصراط المستقيم إلى الله».

فلاشك أن للصراط المستقيم شأناً كبيراً في حياة الإنسان، ويكفي في أهمية الصراط المستقيم أنه أهم وأعظم دعاء يجب على الإنسان في الصلاة أن يكرّره عشرة مرات على الأقل، على نحو الوجوب وذلك في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

فلا تصح صلاة من غير سورة الفاتحة، وأهم ما في

---

١ ـ المائدة: ١٦.

٢ ـ النحل: ٦٩.

٣ ـ إبراهيم: ١٢.

هذه السورة المباركة هو هذا الدعاء الجليل الوارد في هذه السورة المباركة.

فما هو الصراط المستقيم؟

وما هي العلاقة بين الصراط المستقيم في هذه الدنيا والصراط في الآخرة.

إن الغاية التي ينتهي إليها الإنسان في حركته التكاملية إلى الله تعالى هي معرفة الله ولقاء الله.

ولا يصل الإنسان إلى هذه الغاية إلا عبر حركة كادحة مريرة، داخل نفسه، وعبر شهواته وأهوائه للسيطرة على أهوائه وشهواته والتحكم فيها، وتحكيم إرادة الله تعالى على أهوائه وغرائزه، وإخلاص النية لله تعالى، والعبودية والطاعة، وهذه الحركة الشاقة تتم داخل النفس.

وتتطابق هذه الحركة مع حركة أخرى في واقع الحياة تتسم بالتقوى والعمل الصالح والسير على نهج الله تعالى.

وهذا هو «الصراط المستقيم» في حياة الإنسان داخل نفسه وخارجها.

ويقع هذا الصراط المستقيم وسط سبل كثيرة متفرقة ومتوزعة على اليمين والشمال من سبل الضلال، وكل هذه

السبل تؤدي إلى الانحراف عن صراط الله المستقيم.

يقول تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وهذا الصراط المستقيم وسط هذه السبل داخل النفس، وفي واقع الحياة هو الذي يوصل الإنسان إلى الغاية التي خلق الله تعالى الإنسان لها، وسائر هذه السبل انحراف وضلال عن الغاية.

عن جابر بن عبدالله، قال: «كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَخَطّ خطّاً هكذا أمامه، فقال: هذا سبيل الله، وخطّين عن يمينه وخطّين عن شماله، وقال: هذا سبيل الشيطان، ثم وضع يده في الخط الأوسط، وتلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾»[2].

الصراط المستقيم عبر جحيم الأهواء والشهوات

وعلى هذا الصراط المستقيم يجتاز الإنسان الدنيا وما

---

١ ـ الأنعام: ١٥٣.

٢ ـ الدر المنثور ٣: ٥٦.

فيها من إغراءات، وشهوات، وأهواء إلى الله تعالى وهذه الشهوات والأهواء هي النار الحارقة التي تجسد الصورة الدنيوية لجهنم، إنّ الحياة الدنيا، ليست بجهنم، ولكن التعلق بهذه الحياة الدنيا، والانصراف إليها والانغماس فيها، والوقوع تحت نفوذها وسلطانها هي جحيم الإنسان في هذه الدنيا، وكذلك شهوات الإنسان وأهواؤه وغضبه وإنفعالاته النفسية، عندما تتملك أمره، وتسيطر عليه هي ا لجحيم الذي يحترق فيها الإنسان في هذه الدنيا.

وقد ورد في الحديث عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «الغضب نار موقدة من كظمه أطفأها، ومن أطلقه كان أول محترق بها»[1].

ونحن هنا في هذا الحياة الدنيا لا نشعر بالصفة الواقعية لهذه التعلقات والشهوات، ولو كشف عن عيوننا الغطاء لرأينا حريق هذه الشهوات، والأهواء، والتعلقات، والانفعالات، عندما تمتلك أمر الإنسان في نفسه.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا**

---

١ ـ مستدرك الوسائل ٢: ٣٢٦.

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1].

وهذه النار هي أَكَلَ أموال اليتامى بالباطل، وليست من الاستعارة في شيء، وإنما هي من الحقيقة التي أخفيت عنا في هذه الدنيا والله أعلم.

وعلى الإنسان أن يقطع الطريق إلى الله تعالى وسط هذه الحرائق، من دون أن يحترق، أو تؤذيه النار، أو تحرق أطرافه، و«الصراط المستقيم» هو وحده الذي يضمن للإنسان العبور من وسط هذه الحرائق بأمن وسلام.

فالصراط المستقيم ـ إذن ـ في حياة الإنسان جسر على جهنم الحياة الدنيا، إذا وضع الإنسان خُطاهُ عليه لم تؤذه جهنم الحياة الدنيا، وإذا تجاوزه وقع في وسط هذه الحرائق وابتلعته.

إنَّ شهوات الإنسان وأهواءه صورة دنيا عن جهنم الآخرة.

وإنَّ جهنم لا تزال تطلب المزيد من الكافرين، وكلما ألقى الله تعالى فيها فوجاً سألها: ﴿هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ

---

١ ـ النساء: ١٠.

مِن مَّزِيدٍ﴾[1].

كذلك نفس الإنسان لا تشبع ولا تنفد حاجتها إلى حطام الدنيا، ولو أن الله تعالى أعطى كنوز الأرض لشخص لطلب المزيد، وسعى إلى المزيد، حتى يبلغ الإنسان حداً يدعي الربوبية والإلوهية على وجه الأرض، ويتصدى للتجاوز على سلطان الله تعالى وحاكميته علي حياة الإنسان وفي الأرض.

فالحركة في الحياة الدنيا، إذن، حركة في وسط جهنَّم لو كشف الغطاء عن أعيننا، ومن عجب أن العبور من وسط هذا الجحيم هي الطريق إلى الله تعالى.

وفي هذا العبور، هناك ناس يعبرون الحياة الدنيا إلى الله تعالى، يعيشون مع الناس ويتزوجون، ويزوجون، ويتمتعون بمتاع الحياة الدنيا، دون أن تُلَوِّثهم الحياة الدنيا، ودون أن تصرفهم عن الله تعالى حتى لحظة واحدة.

يقول تعالى: **﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ**

---

١ ـ سورة ق: ٣٠.

﴿الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1].

وهؤلاء لم يعتزلوا الحياة الدنيا وإنّما يمارسون التجارة والبيع كما يمارسها سائر الناس، ولكن لم يلههم ذلك عن ذكر الله وإقام الصلاة حتى لحظة واحدة.

ويتمتعون في الدنيا بما يتمتع به الآخرون، ولكن متع الدنيا لا تربطهم بالدنيا، ولا تصرفهم عن الله.

وفي قبال هؤلاء هناك طبقة أخرى يدخلون الحياة الدنيا، فتشدهم إليها شدّاً وثيقاً، وتصرفهم عن الله تعالى صرفاً كاملا، وتحجب قلوبهم وصدورهم عن الله.

وبين أولئك وهؤلاء طبقات ودرجات من الناس والذي يشترك فيه الناس جميعاً هو الدخول في الحياة الدنيا، والذي يختلف فيه الناس هو درجة تعلقهم وإرتباطهم بالحياة الدنيا، عند العبور من هذه الحياة إلى الله تعالى، كما أن الذي يشترك فيه الناس جميعاً أن الطريق إلى الله تعالى ينحصر في العبور من وسط هذه الدنيا، ومن بين هذه الشهوات والغرائز والأهواء.

---

١ ـ النور: ٣٧.

وقد رسم الله تعالى للإنسان طريقاً إليه، وسط هذه الدنيا، وما يحفّها من أهواء وشهوات، وذلك الطريق هو «الطريق المستقيم»، صراط العبودية والتوحيد والتقوى، فإذا سلك إليه هذا الطريق، فسوف يتمكن من تجاوز الدنيا، دون أن يتعلق بشيء منها، ودون أن تصرفه الدنيا عن الله تعالى، أو تحجبه عنه، وإذا شط إلى اليمين واليسار، فسوف تشده الدنيا إليها، وتجذبه، وتصرفه عن الله تعالى، وتحجبه عنه، وعلى قدر إستقامة الإنسان على الصراط المستقيم يكون نجاحه أو فشله في هذه الحركة الشاقة إلى الله تعالى.

الصور المحسوسة لأعمالنا في الآخرة

ولهذا الصراط الذي يسلكه الناس في الحياة الدنيا إلى الله تعالى صورة أخرى محسوسة في الآخرة... هي حقيقة وباطن وواقع سلوك الإنسان في الدنيا.

وليس من شك أن لأعمال الإنسان ظاهراً نراه في هذه الدنيا، وباطناً يتجسّد لنا في الآخرة، بصورة محسوسة، فنحن لا نرى من الصلاة هنا غير ظاهرها من القيام والركوع والسجود، وأما روح الصلاة وباطنها الذي هو

إقبـال المصـلي علـى الله تعـالى، فـي صـلاته، وخشـوعه، وحضور قلبه بـين يـدي الله تعـالى، وإنشـداده إلـى الله فـي المناجاة والدعاء، فهو من الغيب الذي لا نحسُّ به نحن في صلاة الناس، وفي يوم القيامـة يتجسـد هـذا الواقـع الغيبـي للصلاة في صورة محسوسة، كما يتجسّد سائر أعمالنـا مـن حسـنات وسـيئات فـي صـور محسوسـة، ويقـدم إلينـا فـي الآخرة.

وفي الحقيقة أن الجزاء في الآخـرة لـيس أمـراً خارجـاً عن حقيقة أعمالنا، يجزينـا الله تعـالى بـه علـى أعمالنـا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وإنما هو حقيقة أعمالنا تعود إلينا في الآخرة لا نعرفها هنا، والله أعلم بحقائق كتابه وخلقه.

وعذاب جهنم، ونعيم الجنة، إنما هو أعمالنا، تعود إلينا في الآخرة، بتلك الصورة، وهي الصورة الحقيقيـة لأعمالنـا وليس شيئاً خارجاً عن ماهية وحقيقة أعمالنا.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَـتْ مِـنْ خَيْـرٍ مُّحْضَـرًا وَمَـا

عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[1].

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2].

والتعقيب في هذه الآية الكريمة بقوله تعالى: **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾** ملفت للنظر، فإن العقاب الذي يصبّه الله تعالى على الكافرين والمنافقين إنّما هو أعمالهم التي تعود إليهم يوم القيامة، ويجدونها حاضرةً لديهم، ولم يظلم الله تعالى عباده بشيء **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾** وإنما الناس هم الذين يظلمون أنفسهم.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

ولا حجة لأحد على الله تعالى: **﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾**[4].

يقول تعالى: **﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾**[5].

---

١ ـ آل عمران: ٣٠.

٢ ـ الكهف: ٤٩.

٣ ـ فصلت: ٤٦.

٤ ـ الأنعام: ١٤٩.

٥ ـ الشورى: ١٥.

فإذا كانت أعمال الناس هي التي تعود إليهم بصورتها الحقيقية يوم الآخرة فأيّة حجة للعباد على الله تعالى؟ يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في الدعاء الذي علمه لكميل بن زياد رحمه الله: «ولك الحُجّة عليّ في جميع ذلك، ولا حُجَّة لي فيما جرى عليّ فيه قضاؤك».

صراط الدنيا هو صراط الآخرة:

إن «الصراط» في الآخرة هو الصورة المجسِّدة للصراط الذي يسلكه الإنسان في الدنيا إلى الله تعالى، وكما أن الصراط في الدنيا يمر على جحيم الشهوات والأهواء والتعلق بالدنيا، وعبر هذه الدنيا يصل الإنسان إلى الله تعالى، كذلك الصراط في الآخرة تجسيد لهذا الصراط يعبر عليه الناس جهنم إلى الجنة، فمن سقط هناك في لجج الشهوات والأهواء، وتملكت الشهوات والأهواء أموره سقط في الآخرة في نار الجحيم، ومن استطاع أن يجتاز الدنيا إلى الله تعالى، دون أن يتلوّث بها، وينشد إليها، وعاش فيها كما يعيش الناس، ولكن لم يسقط فيها ولم يُمَلِّكها أمره... يستطيع في الآخرة أن يجتاز الصراط إلى الجَنة، وان يرد النار ويخرج منها على الصراط إلى

الجنة.

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة»[1].

وعن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزّوجلّ، وهما صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، أما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة من عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه مَرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فَتَردَّى في نار جهنم»[2].

١ ـ معاني الأخبار ١: ٢٩ طبع النجف.

٢ ـ معاني الأخبار ١: ٢٨ طبع النجف.

الصراط أدق من الشعر وأحدّ من السيف

وهذا الصراط الذي يعبر عليه الناس يوم القيامة إلى الجنة دقيق، وحاد، وصعب.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الصراط أدق من الشعر، وأحدّ من السيف»[1].

وهذا التعبير يرمز إلى دقة الحدود الشرعية، وصرامتها، وهذه الدقة والصرامة في الحدود الإلهية التي هي صراط الله المستقيم في الدنيا تنعكس على الصراط يوم القيامة، فيكون حاداً كالسيف دقيقاً كالشعر، لا يستطيع أن يمر عليه بسلام إلا من وعى حدود الله تعالى في الدنيا، وحفظها، وعمل بها، بدقة، وصرامة، وجدية.

يقول صدر المتألهين في الأسفار: «إن كمال الإنسان منوط باستعمال قوتيه: أما القوة النظرية فلإصابة الحق ونور اليقين في سلوك الأنظار الدقيقة التي هي في الدقة

---

١ ـ مجمع البيان ٣: ٥٢٥.

واللطافة أدق من الشعر، وأمّا القوة العملية فبتعديل القوى الثلاث، التي هي الشهوية والغضبية والفكرية في أعمالها، لتحصل للنفس حالة إعتدالية، متوسطة بين الأطراف غاية التوسط، لأن الأطراف كلها مذمومة، يوجب السقوط في الجحيم، ومنزل البعداء والأشقياء المردودين وقد علمت أن التوسط الحقيقي بين الأطراف المتضادة بمنزلة الخلو عنها، والخلو عن هذه الأطراف المسمى بالعدالة منشأ الخلاص عن الجحيم، وهي أحد من السيف، فإذن الصراط له وجهان أحدهما أدق من الشعر والآخر أحد من السيف»[١].

إن سلوك الصراط المستقيم في الدنيا سلوك صعب، من الناحية النظرية، ومن الناحية العملية، أما من الناحية النظرية فإنَّ تشخيص حدود الله تعالى يتطلب الكثير من الدقة وإمعان النظر، وأمّا من الناحية العملية، فإنَّ تطبيق الحدود الإلهية يحوج الإنسان إلى الصرامة والحسم،

---

١ ـ الحكمة المتعالية ٥: ٢٨٥.

والتسامح في هذا أو ذاك يُحرفَ الإنسان عن الصراط المستقيم.

وهذان هما وجها الصراط: (الدقة) و(الصرامة)، وهذان الوجهان قائمان في الصراط يوم القيامة فمن إستقام على الصراط في الدنيا على حدّيه، إستطاع أن يمر على الصراط يوم القيامة بيسر وراحة، ومن تخطى الصراط في أحد حديه في الدنيا إنزلق قدمه على الصراط في الآخرة في واحد من حديه.

إختلاف درجة سرعة الناس على الصراط

للناس في إجتياز الصراط إلى الجنة درجات من السرعة، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كعدو الفرس، ومنهم من يمر الصراط بسرعة دون ذلك، ومنهم من يمر الصراط حبواً، ومنهم من يمر متعلقاً بالصراط، تصيب النار منه طرفاً، وتترك له طرفاً.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر،

ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»[1].

وإختلاف الناس في العبور من الصراط يوم القيامة يجسد بنسبة عكسية حركة الإنسان على الصراط المستقيم في الدنيا، فكلما تكون درجة معاناة الإنسان مع نفسه في تجاوز الشهوات والأهواء والضغط عليها أكثر في الحياة الدنيا، تكون حركته على الصراط المستقيم أيسر وأسهل.

فمن الناس من يمارس على نفسه ضغطاً قويّاً للسيطرة على أهوائه وشهواته ونزواته وإنفعالاته النفسية ويخضع نفسه لسلطان دين الله وسلطان العقل، ويروض نفسه للتقوى أولئك ييسر الله تعالى لهم مرورهم على الصراط، بقدر معاناتهم، ومن الناس من تكون معاناته في الدنيا دون ذلك، ويسمحون لأنفسهم من الحرية أكثر من الطبقة

---

١ ـ بحار الأنوار ٨: ٦٤ ـ ٦٥.

الأُولى أولئك يكون مرورهم على الصراط أصعب وأكثر عناء.

ومـن النـاس مـن يطلقـون لأنفسـهم العنـان حينـاً ويضبطونها حيناً أولئك الذين يتعلقون بالصراط يوم القيامة تصيب منهم النار أطرافاً وتترك لهم أطرافاً، ومن الناس من يتحلل مـن هـذه الضـوابط «حـدود الله» جميعـاً، ويطلقـون لأنفسهم العنان من غير تحرج ولا تأثم... أولئـك يسـقطون في نار جهنم من على الصراط لولا رحمة الله تعالى.

وقد شاء الله تعالى للإنسان أن تقتـرن حياتـه فـي الـدنيا بالمعانـاة والابـتلاء والصـبر، وأن تكـون هـذه المعانـاة والابتلاء والصبر هي سلّم الإنسان إلى الله تعالى، وأن تأتي هذه المعاناة والابتلاء في حركـة الإنسـان علـى صـراط الله المستقيم في الدنيا والتزامه بحـدود الله وحلالـه وحرامـه... ومن دون هذه المعاناة لا يمكنه أن يعبر الصراط المسـتقيم في الدنيا إلى الله تعالى، ولا أن يجتاز الصراط يـوم القيامـة إلى الجنة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء﴾[1].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[2].

﴿آلم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[3].

وإن المؤمنين ليمرُّون على الصراط الممدود على جهنم، فتكون النار عليهم برداً وسلاماً، لا يحسون بحرّها.

عن إبن مسعود قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها

---

١ ـ البقرة: ٢١٤.

٢ ـ البقرة: ١٥٥.

٣ ـ العنكبوت: ١ ـ ٢.

جثياً»[1].

ويرد المؤمنون الجنة، فيتساءلون فيما بينهم عن الورود في نار جهنم الذي وعدهم الله تعالى، فيقال لهم إنكم مررتم عليها فلم تحسوا بحرِّ نارها.

عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾، فقال: «إذا دخل أهل الجنة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي جامدة»[2].

وإن نور المؤمن حينما يعبر الصراط، ليطفئ لهب جهنم، فيردها المؤمن عبر الصراط إلى الجنة فلا يحس بها.

عن رسول الله ﷺ: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[3].

---

١ ـ الدر المنثور ٤: ٢٨٠.

٢ ـ الكشاف ٢: ٥٢٠.

٣ ـ تفسير الصافي: ٣٤٠.

وإن نار جهنم تعرف أصحابها فتلتهمهم، وتترك من عداهم من أهل الجنة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك وذري أصحابي، فوالذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها»[1].

---

١ ـ مجمع البيان ٥: ٥٢٦.

عقبات الصراط

كما أن على «الصراط المستقيم» في الدنيا عقبات كذلك على الصراط في الآخرة عقبات، والعقبات هي العقبات.

والعقبة هي الممرات الجبلية الضيقة والصعبة والصراط إلى الله تعالى في الدنيا قد يكون رحباً سهلا، وقد يدق هذا الصراط ويضيق، ويصعب سلوكه، ويكون مزلقاً، ينزلق عليه الناس.

ودقة الصراط المستقيم تأتي في مرحلة تشخيص الحكم الإلهي والتكليف، فإن التكليف الشرعي قد يدق أحياناً ويحتاج تشخيصه إلى دقة كثيرة، والمسامحة في تشخيص التكليف والحدود الشرعية يؤدي إلى الانحراف عن الصراط المستقيم.

يقول أُبان: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما تقول في رجل قطع إصبعاً من أصابع إمرأة كم فيها؟ قال: عشرة من الإبل، قلت: قطع إثنين؟ قال: عشرون، قلت: قطع ثلاثاً؟ قال: ثلاثون، قلت: قطع أربعاً: قال: عشرون.

قلت: سبحان الله، يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون، ويقطع أربعاً، فيكون عليه عشرون، إن هذا كان يبلغنا،

ونحن بالعراق فنبرأ ممن قال، ونقول: إن الذي قاله الشيطان، فقال عليه السلام: مهلا يا أُبان، هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت المرأة إلى النصف، يا أبان إنك أخذت بالقياس، والسنّة إذا قيست محق الدين»[1].

وكما يدق الحكم الشرعي في مرحلة التشخيص كذلك يصعب الحكم الشرعي في مرحلة التنفيذ، حيث يصطدم الحكم الشرعي برغبات الإنسان وأهوائه فيكره الاستجابة للحكم الشرعي، ويجد صعوبة كبيرة في التنفيذ. يقول تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾[2].

وقد يبتلي الله تعالى عباده الصالحين بالمرور من عقبات صعبة على الصراط، لا يقوى عليها الكثيرون، ولنا في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على ذلك نذكر منها إبتلاء الله تعالى لعبده وخليله إبراهيم عليه السلام، حيث أمرَهُ الله تعالى أن يذبح إبنه إسماعيل، وهو في غضاضة شبابه، بيده ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي**

---

١ ـ القوانين المحكمة ٢: ٨٩ الطبعة الحجرية.

٢ ـ البقرة: ٢١٦.

أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَـرَى قَـالَ يَـا أَبَـتِ افْعَـلْ مَـا تُـؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّـا أَسْـلَمَا وَتَلَّـهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَـا إِنَّـا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ﴾[1].

اجل إن الصراط المستقيم قد يدق فيحتاج الإنسان إلى الكثير من الدقة في إجتيازه في مرحلة تشخيص التكليف والحكم، وقد يصعب فيحتاج الإنسان إلى الكثير من الصبر والعزم والقوة حتى يجتازه، تماماً كما تدق الممرات الجبلية فتضيق ويصعب إجتيازها... كذلك قد يصعب المرور على الصراط ـ في مرحلة تنفيذ الحكم الشرعي ـ في بعض النقاط ويحتاج المرور على هذه النقاط والعقبات إلى جهد كبير وصبر، تماماً كما يصعب الصعود إلى قمم الجبال على الممرات الجبلية الصعبة.

وهذه هي عقبات الصراط في الدنيا، توازي وتقابل عقبات مشابهة في الدقة والصعوبة في الآخرة، على الصراط الممتد من إلى الجنة عبر جهنم، فيدق الصراط حيناً، ويصعب المرور على الصراط حيناً آخر، وهذه هي

---

١ ـ الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٦.

«العقبات» على الصراط.

والذي يبدو من النصوص الإسلامية أن هذه العقبات على الصراط عقبات حقيقية محسوسة، وليست من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، كما يبدو ذلك من خلال كلام الشيخ المفيد رحمه الله.

وكل عقبة من هذه العقبات تخص فرضاً أو نهياً من حدود الله تعالى، وهي العقبات على الصراط المستقيم، فإذا أدّى هذه الفروض، وانتهى عن هذه النواهي، والتزم فيها بحدود الله تعالى وأحكامه، إجتاز العقبات المناظرة لها على الصراط يوم القيامة بسهولة وأمان وسرعة، ومن تسامح فيها أو أهملها في الدنيا وجد في العقبات المناظرة لها في الصراط في القيامة صعوبة ومشقة قد يمتنع عليه إجتيازها لولا رحمة الله تعالى.

يقول الشيخ الصدوق في العقائد: «إعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر أن كل عقبة منها، إسمها إسم فرض وأمر ونهي، فمتى إنتهى الإنسان إلى عقبة إسمها إسم فرض، وكان قد قصر في ذلك الفرض، حبس عندها، وطولب بحق الله فيها، فإن خرج منها بعمل صالح قدمه، أو برحمة

تداركه، نجا منها إلى عقبة أخرى، فلا يزال يدفع من عقبة إلى عقبة، ويحبس عند كل عقبة، فيسأل عما قصر فيه، فإن سلم منها جميعاً إنتهى إلى دار البقاء، فيحيى حياة لا موت فيها أبداً، وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصديقين والشهداء الصالحين من عباده، وإن حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه، فلم ينجه عمل صالح قَدَّمه، ولا أدركته من الله عزّوجلّ رحمة زلت به قدمه عن العقبة، فهوى في جهنم نعوذ بالله منها... وأهم عقبة منها المرصاد، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾، وإسم عقبة منها (الرَّحم)، وإسم عقبة منها (الأمانة)، وإسم عقبة منها (الصلاة)، وبإسم كل فرض أو أمر أو نهي عقبة يحبس عندها العبد فيسأل»[1].

عقبة المرصاد

فإذن هناك عقبات على الصراط يوم القيامة بأسماء الفروض والأحكام وحدود الله، مثل عقبة الصلاة، وعقبة الصوم، وعقبة الجهاد، وعقبة الحج، وعقبة الأمانة، وعقبة

---

١ ـ بحار الأنوار ٧: ١٢٨ ـ ١٢٩.

الرحم، وعقبة الغيبة، وعقبة الكذب وما إلى ذلك من الفروض والأحكام والحدود الإلهية، فمن إجتاز هذه العقبات، واقتحمها في الدنيا إقتحمها في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[1].

والقرآن يُحرّض المؤمنين على إقتحام هذه العقبات وتجاوزها وهي الحائلة في الدنيا بينهم وبين مرضاة الله تعالى، فمن إقتحمها بلغ مرضاة الله، ومن وقف دونها حجب عن مرضاة الله، وكذلك هي في الآخرة حائلة بينهم وبين الجنة فمن إقتحمها بلغ الجنة، ومن حبس دونها حجب عن الجنة.

وعقبة المرصاد أعظم هذه العقبات جميعاً، فإن ربك لبالمرصاد.

والله تعالى يرصد ويرقب من أعمال الناس ونياتهم مالا يرصده الناس ولا الملائكة، فإن الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ

---

١ ـ البلد: ١١ ـ ١٦.

الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[1]. **﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾**[2]. **﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾**[3].

فهو سبحانه وتعالى في موقع الرصد لعباده، يرصد من قلوب عباده ونياتهم ما لا يرصده غيره، وطبيعة «الرصد» أن يرى «الراصد» المرصود، ويراقبه من حيث لا يراه المرصود، وأن يهيمن الراصد على المرصود.

والإنسان في هذه الدنيا يقع تحت الرصد والرقابة الإلهية المباشرة في أعماله ونياته وخلجات ضميره، وهو غافل عن ذلك، فإذا إختفى عن الناس في بعض أفعاله، أو أخفى على الرقباء بعض نياته، فإنه لا يُخفي على الله شيئاً، وهو مكشوف لله تعالى في ظاهره وباطنه، وواقع تحت هذا الرصد الإلهي العجيب بصورة مباشرة.

وفي الآخرة كذلك إذا تجاوز العقبات التي تخص الفرائض والأحكام والحدود، فتبقى أمامه «عقبة المرصاد» هذه العقبة الصعبة التي يرصد الله تعالى فيها عباده،

---

١ ـ غافر: ١٩.

٢ ـ الأنفال: ٢٤.

٣ ـ طه: ٧.

ويعرف منهم ما لا يعرفه غيره من سيئات قلوبهم ونياتهم، وما كان يشوب قلوبهم من الرياء، والعجب، والشرك الخفي، الذي قد يخفى على الإنسان نفسه... فهناك يتعرى الإنسان بين يدي الله تعالى تعرية كاملة، ولا يجوز هذه العقبة ﴿إِلاّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]. أو من تدركه رحمة الله تعالى.

وقد ورد بهذا المضمون أحاديث كثيرة نذكر هنا شطراً منها:

١ـ روى الصدوق في الأمالي: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سئل عن ذلك رسول الله، فقال: أخبرني الروح الأمين: أن الله لا إله غيره إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم... لها هَدَّة وتغيظ، وزفير، وأنها لتزفر الزفرة، فلولا أن الله عزّوجلّ أخَرّهم إلى الحساب لأهلكت الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط الخلائق: البر منهم والفاجر، فما خلق الله عزّوجلّ عبداً من عباده، ملكاً، ولا نبياً إلا نادى: رب نفسي نفسي،

---

١ ـ الشعراء: ٨٩.

وأنت يا نبي الله تنادي أمتي أمتي، ثم يوضع عليها صراط أدق من حد السيف، عليه ثلاث قناطر، أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الأُخرى فعليها الصلاة، وأما الأُخرى فعليها عدل رب العالمين لا اله غيره، فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين، جلّ وعز، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ والناس على الصراط فمتعلق، وقدم تزل، وقد تستمسك، والملائكة حولهم ينادون: يا حليم إغفر، واصفح، وعد بفضلك وسلّم، سلّم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، وإذا نجا ناج برحمة الله عزّوجلّ نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله، إن ربنا لغفور شكور»[1].

٢ـ وروي عن إبن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قال: «إن على جسر جهنم سبع محابس، يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا اله إلا الله، فإن جاء بها تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة، فإن جاء بها

---

١ ـ بحار الأنوار ٧: ١٢٥ ـ ١٢٦.

تامة، جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج، فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم، فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا، فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة»[1].

٣ـ عن غالب بن محمد، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عزّوجلّ: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»[2].

٤ـ عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أبو ذر رحمه الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مرَّ الوصول لرحمه، المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعهما معهما عمل، وتَكَفَّأ به

---

١ ـ بحار الأنوار ٨: ٦٤.

٢ ـ بحار الأنوار ٨: ٦٦ ح ٦٥.

الصراط في النار»[1].

وحافتا الصراط كحافتي الجسر وهو السياجان اللذان على حافتي الجسر، يحميان العابرين من السقوط، وكذلك على حافتي الصراط الذي يمر على جهنم سياجان وهما الرحم والأمانة، فمن كان وصولا لرحمه حافظاً للأمانة حماه هذان السياجان من السقوط من على الصراط في نار جهنم، كما يحمي السياج الإنسان من السقوط في النهر، ولو لم يكن كذلك انزلقت قدمه من الصراط، فهو في جهنم.

٥ــ وفي نهج البلاغة: «واعلموا أن مجازكم على الصراط، ومزالق دحضهِ، وأهاويل زللهِ، وتارات أهوالهِ»[2].

٦ــ عن أنس بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة، ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾

١ ـ بحار الأنوار ٨: ٦٧ ح ٩.

٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٦٣.

يعني عن ولاية علي بن أبي طالب»[1].

تأمين المرور على الصراط

وصالح أعمال الإنسان يُؤمِّن للإنسان يوم القيامة المرور على الصراط وتجاوز أهوال الصراط ومزالّه ومزالقه، فكلما تعسر على الصراط أتاه عمل صالح من أعماله في الدنيا فييسر له المرور وتجاوز تلك العقبة، وكلما زَلَّتْ بالإنسان قدمه على الصراط، لدقة الصراط، وكاد أن يسقط الإنسان في جهنم حفظته أعماله الصالحة من السقوط.

وننظر فيما يلي في شطر من الروايات الواردة في هذا الباب:

١ـ روى الصدوق في الأمالي عن سعيد، عن المسيب، عن عبدالرحمن بن سمرة، قال: «كنا عند رسول الله ﷺ يوماً فقال: إني رأيت البارحة عجائب، قال: فقلنا: يا رسول الله وما رأيت؟ حدثنا به فداك أنفسنا وأهلونا وأولادنا فقال:

---

١ ـ بحار الأنوار ٨: ٦٧ ـ ٦٨ ح ١١.

رأيت رجلا من أمتي، وقد أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برّه بوالديه، فمنعه منه.

ورأيتُ رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوئه فمنعه منه.

ورأيتُ رجلا من أُمتي قد إحتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عزّوجلّ فنجّاه من بينهم.

ورأيتُ رجلا من أُمتي قد إحتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فمنعته منهم.

ورأيت رجلا من أُمتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع، فجاءه صيام شهر رمضان، فسقاه وأرواه.

ورأيت رجلا من أُمتي والنبيون حَلَقاً حَلَقاً كلما أتى حَلَقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة، فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه.

ورأيت رجلا من أُمتي بين يديه ظُلْمة، ومن خلفه ظُلْمة، وعن يمينه ظُلْمة، وعن شماله ظلمة، ومن تحته ظُلْمة، مستنقعاً في الظلمة، فجاءه حجّه وعمرته، فأخرجاه من الظلمة، وأدخلاه النور.

ورأيت رجلا من أُمتي يكلم المؤمنين، فلا يكلمونه

فجاءه صلته للرحم فقال: يا معشر المؤمنين كلموه، فإنه كان واصلا لرحمه فكلّمه المؤمنون، وصافحوه وكان معهم.

ورأيت رجلا من أُمتي يتقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه، فجاءته صدقته فكانت ظلا على رأسه وستراً على وجهه.

ورأيت رجلا من أُمتي، قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فخلصاه من بينهم، وجعلاه بين ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلا من أُمتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبين رحمة الله حجاب، فجاءه حُسْنُ خلقه، فأخذه بيده، فأدخله في رحمة الله.

ورأيت رجلا من أُمّتي قد هوت صحيفته قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عزّوجلّ، فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلا من أُمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عزّوجلّ فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلا من أُمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكي من خشية الله فاستخرجته من ذلك.

ورأيت رجلا من أُمتي على الصراط يرتعد، كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله فَسَكن رعدته ومضى على الصراط.

ورأيت رجلا من أُمتي على الصراط، يزحف أحياناً، ويحبو أحياناً فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ومضى على الصراط.

ورأيت رجلا من أُمتي إنتهى إلى أبواب الجنة كلما إنتهى إلى باب أغلق دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله صادقاً بها، ففتحت له الأبواب ودخل الجنة»[1].

٢ـ روى الكليني في الكافي عن سدير الصيرفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل: «إذا بعث الله المؤمن من قبره، خرج معه مثال يتقدم أمامه، كلما رأى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع، ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ، حتى يقف بين يدي الله عزّوجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم

---

١ ـ بحار الأنوار ٧: ٢٩٠ ـ ٢٩١.

الخارج خرجت معي من قبري، وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عزّوجلّ منه لأبشرك»[1].

٣ـ عن علي بن الهندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زار أخاه، في الله، ولله جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور، لا يمر بشيء إلا أضاء له، حتى يقف بين يدي الله عزّوجلّ، فيقول الله عزّوجلّ: مرحباً، وإذا قال الله له: مرحباً أجزل الله عزّوجلّ له العطية»[2].

٤ـ عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان مؤمناً نفّس الله عزّوجلّ عنه ثلاثاً وسبعين كربة: واحدة في الدنيا وإثنتين وسبعين كربة عند الكربة العظمى، قال: حيث يتشاغل الناس بأنفسهم»[3].

---

١ ـ بحار الأنوار ٧: ١٩٧ ح ٦٩.

٢ ـ بحار الأنوار ٧: ١٩٧ ح ٦٨.

٣ ـ تفسير الصافي: ٢٠ الطبعة الحجرية.

رفق الله تعالى بعباده في الحساب

ولـئن كانـت العقبـات علـى الصـراط صـعبة ومزالـق الأقدام، فإن رحمة الله تعالى بعباده ومغفرته لهم تيسر لهـم الحسـاب والمـرور علـى الصـراط، وتسـتر علـيهم ذنـوبهم وسـيئاتهم فـي الـدنيا، حتـى أن العبـد يحاسـبه الله تعـالى فيعترف لله عزّ شـأنه بذنوبـه، فيغفـر الله لـه، ويبـدل سـيئاته بالحسنات، ويظهره للناس، بعـد هـذا التبـديل مـن دون أن تكون عليه سيئة، ويأمر به إلى الجنة، فيعجب الناس يومئذ منه، كيف لم يروا له سيئة.

في «أمالي الطوسي» عن المفيد بسنده عن العـلاء، عـن محمد قال:

سـألت أبـا جعفـر «البـاقر» عليه السلام عـن قـول الله عزّوجـلّ: ﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾

فقال عليه السلام: يُؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة، حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، لا يطَّلع على حسابه أحداً من النـاس، فيُعرِّفـه ذنوبـه، حتـى إذا أقرَّ بسيئاته، قال الله عزّوجـلّ للكتبـة: بـدلوها حسـنات،

وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة، ثم يأمر الله به إلى الجنة»[1].

الصراط صورة الإنسان وواقعه

حركة الإنسان إلى الله تعالى وعلى الصراط المستقيم هو الصراط الذي يقطعه يوم القيامة، عبر جهنم، إلى الجنة.

وبموازاة هذه الحركة يتحرك الإنسان حركة من نوع آخر في داخله، إلى الكمال أو الانحطاط، حسبما تكون حركته في الخارج إلى الأعلى أو إلى الأسفل، إلى الله تعالى أو إلى الهوى والانا.

فعندما تكون حركة الإنسان إلى الله تعالى تتم في داخل الإنسان حركة أُخرى يتكامل بها الإنسان حتى يبلغ مرحلة الصديقين والسابقين وأصحاب اليمين، وعندما تكون حركته إلى الأسفل، وباتجاه الأهواء، فإن هذه الحركة الداخلية تكون حركة تنازلية، حتى يكون صاحبها من أصحاب الشمال ومن أولياء الشيطان.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ

---

١ ـ معاني الأخبار: ٢٨.

أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1].

إن هذا الذي يسميه القرآن بالفلاح والخيبة في هذه الآيات المباركات من سورة الشمس، إنما هو مرحلة من تكامل وإنحطاط الإنسان، ودرجة في حركة النفس الصاعدة والنازلة، فإن الإنسان كما ينمو ويهزل، وينتكس في نموه الجسدي، كذلك ينمو وينتكس ويهزل في نموه وحركته النفسية، وفي كل يوم لنفس الإنسان صورة قد تختلف عن صورتها في اليوم السابق باتجاه صاعد أو هابط... وصورة النفس ودرجتها هي صراطها في الآخرة. فإذا كانت صورة النفس ضعيفة هزيلة، ومن أصحاب الشمال، وأولياء الشيطان كان صراطه ينتهي إلى جهنم، وإذا كانت النفس كاملة وفي درجات رفيعة من الكمال، فإن صراط كل إنسان يعكس واقعه النفسي، ودرجته من الكمال والانحطاط.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا المعنى: «أن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير،

---

١ ـ الشمس: ٧ ـ ١٠.

والجسر الممدود بين الجنة والنار»[1].

هذه الصورة هنا ـ في الحياة الدنيا ـ خافية على الناس، ولا يرى الناس غير هذا الظاهر المرئي المشهود من أنفسهم، فإذا حشروا برز الناس يوم القيامة على حقائقهم، وبصورهم الواقعية، وذلك ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[2] وعندئذ يَشْهَدُ الناس بعضهم بعضاً بصورهم الحقيقية وتتجسد لهم صورهم الواقعية.

إن الإنسان قد ينسلخ هنا من ضميره وعاطفته إنسلاخاً كاملا، وقد ينسلخ من الإيمان، وقد ينسلخ من الإنسانية، فيبقى على صورته، ولكنه يوم القيامة يُحْشر على صورته الحقيقية المنسلخة عن الضمير والعاطفة والايمان والإنسانية.

والصورة السوية للإنسان هي صورة الفطرة، وهي الصراط المستقيم في الدنيا، فإن الفطرة تتطابق تطابقاً كلياً مع الصراط المستقيم، والصراط الذي يؤدي إلى الجنة في القيامة يتطابق مع الصراط المستقيم في الدنيا، فالصراط

---

١ ـ تفسير الصافي: ٢٠.

٢ ـ الطارق: ٩.

إذن في الآخرة هي الصورة السوية للإنسان، والتي يعبر عنها القرآن الكريم بالفطرة، أما الصور المشوهة للإنسان فهي صور المسالك والخطوط المنحرفة في الدنيا عن الصراط المستقيم ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ**﴾[1]، وهذه المسالك المنحرفة في الدنيا تتطابق في الآخرة مع الصراط الذي يؤدي بأصحابه إلى الجحيم: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إلى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾[2].

يقول الفيض الكاشاني في تفسير «الصافي»: أن لكل إنسان من إبتداء حدوثه إلى منتهى عمره إنتقالات جبلّية باطنية، في الكمال، طبيعية، ونفسانية، تنشأ من تكرار الأعمال، وتنشأ منها المقامات والأحوال، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة، ومن خلُق إلى خُلُق، ومن عقيدة إلى عقيدة، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ومن كمال إلى كمال، حتى يتصل بالعلم العقلي والمقرَّبين، ويلحق بالملأ الأعلى والسابقين إن ساعده التوفيق، وكان من

---

١ ـ المؤمنون: ٧٤.

٢ ـ الصافات: ٢٢ ـ ٢٣.

الكاملين أو من أصحاب اليمين، إن كان من المتوسطين، أو يحشر مع الشياطين وأصحاب الشمال، إن ولاه الشيطان وقارنه الخذلان في المآل، وهذا معنى الصراط المستقيم، منه ما إذا سلكه أوصله إلى الجنة، وهو ما يشتمل عليه الشرع كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ﴾[1] وهو صراط التوحيد، والمعرفة، والتوسط بين الأضداد في الأخلاق، والالتزام بصوالح الأعمال، وبالجملة صورة الهُدى الذي أنشأه المؤمن لنفسه، مادام في دار الدنيا، مقتدياً فيه يهدي إمامه، وهو أدق من الشعر، وأحدُ من السيف في المعنى، مظلم لا يهتدي إليه إلا من جعل الله له نوراً يمشي به في الناس، يسعى الناس عليها، على قدر أنوارهم[2].

الإمام: الصراط

ولعل من أبلغ التعابير عن الصراط: أن الصراط هو الإِمام، فإن الصراط في الآخرة هو تجسيد للصراط

---

١ ـ الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.

٢ ـ بحار الأنوار ٧: ١٩٧ ح ٧٠.

المستقيم في الدنيا، والإمام هـو الواقـع السـلوكي للصـراط المستقيم والتجسيد الحيِ الواقعي له.

فإن الصراط المستقيم فـي الـدنيا نحـوين مـن الظهـور: ظهور في التعليمات والأحكام والحلال والحـرام، وظهـور آخر، في الواقع العيني لسـلوك الإمـام وتحرِّكـه وتصـرفه، فإن هذا السلوك يجسد بدقة الصراط المستقيم.

وفـي إتبـاع «الإمـام» يسـتطيع أن يهتـدي الإنسـان إلـى الصراط المستقيم الهادي إلى الله تعالى.

روى الصدوق في معاني الأخبار عن المفضل بن عمر، قال: «سألت أبا عبدالله الصادق عليه السلام عن الصراط، فقال: هـو الطريق إلى معرفة الله عزّوجلّ، وهما صراطان: صراط فـي الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمـا الصـراط الـذي فـي الـدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الـدنيا، واقتـدى بهداه أمرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم فـي الآخـرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة فَتَردى في نار جهنم»[1].

---

١ ـ أمالي الشيخ الطوسي: ٤٤ ـ ٤٥.

ولابد في حياة الإنسان من هذين الأمرين معاً، ليهتدي إلى الصراط المستقيم: من الأحكام والحدود والتعليمات: «الكتاب» ومن التجسيد الواقعي الحي للكتاب، وهو «الإمام»، ولابد في حياة الإنسان من «الكتاب» و«الإمام» معاً، وهما مظهران للصراط المستقيم في حياة الإنسان.

ولا تكفي التوجيهات والتعليمات والحدود والأحكام التي يتكفل بها الكتاب، ما لم يتجسّد هذا الكتاب في حياة الناس بصورة واقعية، وفي حركة عينية.

وللإمام في حياة الناس دوران: دور القيادة ودور القدوة، وكلاهما ضروريان في توجيه الإنسان إلى الله تعالى، وهنا نتحدث نحن عن الدور الثاني، وهو دور القدوة والأُسوة.

إن الإمام «قدوة» للناس على الصراط المستقيم إلى الله. يَجِدُ فيه الناس صراط الله المستقيم، وتتحول فيه الأحكام، والحدود الإلهية، والضوابط، والقيم، والمفاهيم المُجرّدة إلى حركة واقعية في مضطرب الحياة وخِضَمِّ الصراع، وفي وسط الأهواء والمغريات، فتكتسب هذه القيم والأحكام والحدود قيمتها الحقيقية في وسط هذه العوامل

المتصارعة على ساحة الحياة.

إن القيمة الحقيقة للتقوى تبرز عندما ينشطر الإنسان إلى شطرين متصارعين، شطر العقل يدعو الإنسان إلى الالتزام بحدود الله، وشطر للهوى يدعو إلى إتباع الهوى. فإذا أفرز هذا الصراع الداخلي «التقوى» وتَمَحَّضَ الورع في هذه المعاناة الداخلية الشديدة، فسوف تكتسب التقوى ويكتسب الورع قيمتهما الحقيقية.

وان قيمة الصبر فيما تفرزه المعاناة والابتلاء، وقيمة الحلم فيما تفرزه المقدرة والغضب، وقيمة الزهد فيما يفرزه إقبال الدنيا على الإنسان والسعة في المال، وقيمة التواضع فيما يفرزه السلطان... وإلا فلا قيمة للتواضع عند إنعدام السلطان، وللزهد في حال الفقر، وللصبر في أحوال اليسر والعافية، وللحلم عند الرضا، وللتقوى والورع في حالة ركود وخمود الغرائز... غالباً.

إن هذا الإفراز الذي تحدثنا عنه هو كل قيمة هذه القيم، وإلا فإذَا جردنا هذه القيم من هذا الوسط فلا تبقى لها ثمة قيمة كبيرة... غالباً.

وهذا الإفراز يتبلور من خلال حياة «القدوات

الصالحة»، فتتحول من قيم مجردة إلى قيم ذات جاذبية في حياة الناس، وذلك أن الناس يرون في «القدوة الصالحة: الإمام» مرآة لأنفسهم، في صورتهم السويِّة، وفي حالة سلامة الفطرة واستقامتها، فإن الله تعالى خلق الناس جميعاً، على هذه الفطرة السوية، وإنما يشُطُّ من شَطَّ عن الصراط السوي، لا لعجز في تكوينهم الفطري، وإنما بسبب الاستجابة للأهواء والمغريات، فكل منا كان يمكنه أن يستقيم على الفطرة، وكل منا قد آتاه الله تعالى هذا الكنز العجيب من الفطرة، وآتاه الله تعالى هداه ورشده، لولا أنّه يستجيب لعوامل الهوى المغرية ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّـهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1].

فنحن إذن نجد في القدوة الصالحة والإمام مرآة لأنفسنا ولفطرتنا في الوقت الذين نجد فيه الصراط الإلهي المستقيم... وهذا هو سر جاذبية «القدوة» و«الإمام» في حياة الناس.

ولعل ذلك من أهم الأسباب التي تستوجب العصمة في

---

١ ـ البلد: ٨ ـ ١٠.

الإمام في الأنبياء وفي خلفائهم من بعدهم، فلابد من وجود الإمام في حياة الناس، ولابد أن يكون الإمام قدوة كاملة للصراط المستقيم، ولا يتم هذا الأمر، دون أن يكون الإمام معصوماً من الإستجابة لعوامل الهوى والمغريات الضاغطة على النفس، ومن الخطأ والزلل والإنحراف.

وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى ضرورة هذه العصمة والمناعة من الانحراف والخطأ في إستجابة الله تعالى لدعاء عبده وخليله إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام يقول الله تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

فنفى تعالى أن يكون الظالم أهلا للإمامة، وكل من يرتكب ذنباً فقد إرتكب ظلماً.

وإذا كان الإمام بهذا التوضيح، هو الصراط المستقيم في الدنيا، فإن ذلك يستتبع أن يكون الإمام هو الصراط في الآخرة، فإنَّ الصراط في الآخرة تجسيد للصراط المستقيم،

---

١ ـ البقرة: ١٢٤.

كما أن الإمام في الدنيا تجسيد عملي للصراط المستقيم، وإتباع الإمام والاقتداء به هو المرور السليم على الصراط في الآخرة.

علي عليه السلام هو الصراط

وبهذا الإيضاح نستطيع أن نفهم الروايات التي تحدثنا بأن علياً عليه السلام هو الصراط المستقيم، وهو الصراط إلى الجنة وبنوره وهداه يجوز الناس الصراط.

روى البحراني في «غاية المرام» عن قتادة، عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ قال: «هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته طريق مستقيم، ودين مستقيم فاتبعوه، وتمسكوا به فإنه واضح لا عوج فيه»[1].

وأخرج الخوارزمي في المناقب: «الصراط صراطان، صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط

١ ـ غاية المرام: ٤٣٢ باب ٢٠٩.

الآخرة»[1].

وعن أبي هريرة: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتاني جبرئيل، قال أبشرك يا محمد بما تجوز به على الصراط؟ قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، ويجوز عليٌّ بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمتك بنور عليّ، ونور علي من نورك ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾»[2].

وروى الصدوق عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام، قال: «الصراط المستقيم أميرالمؤمنين عليه السلام»[3].

فمما لا شك فيه أن علياً عليه السلام أحد أوضح مصاديق الصراط المستقيم في حياة الناس، وبالتالي هو الصراط إلى الجنة، فهو المقياس الدقيق للصراط المستقيم، وهو المعْلَم الواضح على هذا الصراط، وقيمة عليّ عليه السلام على الصراط المستقيم أنه تَحَرّك إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شطراً من عمره، وخاض الحروب، وقاسى من ألوان المعاناة، وخاض من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صراعاً طويلا على صعيد

---

١ ـ الغدير ٢: ٣١١.

٢ ـ تفسير فرات بن إبراهيم: ١٠٤ ـ ١٠٥.

٣ ـ معاني الأخبار: ٢٨.

المواجهة المسلحة مع المارقين والقاسطين والناكثين، وأقبلت الدنيا عليه، واستلم مفاتيح بيت مال المسلمين، وتولى السلطان في رقعة واسعة من العالم، ورضى، وغضب، وظفر، وانتصر، وحورب... ومع ذلك كان في وسط هذه الساحة المزدحمة بالأحداث، في الرضا والغضب مقياساً دقيقاً لحدود الله تعالى وأحكامه، لم يخرجه عن الصراط المستقيم رضا ولا غضب، ولم يتجاوز حدود الله في يسر أو عسر، ولم يَشُطَّ عن الطريق السوي في حرب أو سلم.

وهذه الاستقامة على الصراط المستقيم في مثل هذه الظروف الصعبة التي مَرَّت على الإمام في حياته تجعل منه تجسيداً حيّاً وواقعياً للصراط المستقيم وبالتالي للصراط إلى الجنة.

رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وجبرئيل عليه السلام على الصراط

روى الصدوق في معاني الأخبار عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلم يجز

أحد إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك»[1].

وهذه الرواية ملفتة للنظر، فلماذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام وجبرئيل عليه السلام على الصراط؟ وما علاقة جبرئيل عليه السلام بالأمر؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أقام الصراط المستقيم في حياة الناس بإذن الله تعالى بكل حدوده وضوابطه وحلاله وحرامه، ودعا الناس إلى السير عليه، والالتزام به، وجبرئيل عليه السلام هو الذي بَلَّغ الصراط المستقيم من الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الوسيط والرسول بين الله تعالى وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ هذا الصراط، وعليّ عليه السلام هو وريث رسول الله على الصراط المستقيم، أوكل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر حراسة هذا الصراط، وتقويمه، ومراقبته، لئلا يدخل الانحراف عليه، ولئلا يَشُط الناس عنه، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأُمة المسلمة إلى التمسك بالكتاب والعترة[2] من بعده، وأخبر

---

١ ـ معاني الأخبار: ٣١.

٢ ـ روى ذلك جمع غفير من المحدثين الثقاة من السنة والشيعة في حديث الثقلين المعروف، ومنهم مسلم في الصحيح والحاكم في مستدرك الصحيحين وأحمد بن حنبل في المسند وغيرهم من ثقاة المحدثين.

أنهما لـن يفترقـا حتـى يـردا عليـه الحـوض يـوم القيامـة، والكتاب والعترة هما وجها الصراط المستقيم.

وصراط الجنة يوم القيامـة مـن الصـراط المسـتقيم فـي الدنيا، ومن يتولى أمـر هـذا الصـراط فـي حيـاة النـاس فـي الدنيا، فلابُدَّ أن يكون له حضـور علـى ذلـك الصـراط فـي الآخرة.

الفهرس